آليات ومظاهر توظيف شخصية جحا في المسرح الجزائري

الحلقة الثانية الصورة المستجدة لشخصية جحا

في مسرحية "غبرة الفهامة" لكاتب ياسين

أ بوعناني سمير
كلية الآداب و اللغات و الفنون
جامعة جيلالي ليابس–سيدي بلعباس

من الطبيعي أن يصنع فضاء الكتابة الذي أسس له علالو رجـــالات آخرين، انصبوا حول الكتابة المسرحية بأفق أوســـع حـــددها التطـــورات الفكرية والثقافية التي مرت بها الجزائر، ولعنا هنا قد نستدرج أذهاننـــا إلى علم طالما أثار اهتمام وملكت النقاد والروائيين والمفكـــرين المعاصـــرين في الوطن العربي. أنه كاتب ياسين، فعلى الرغم من العبقرية التي جعلت منـــه منبرا وقطبا في الأدب العالمي إلا أنه لم يكن في منآى من أن ينطلق في كتاباته من فطرته الشعبية والتراثية وهو ما نحاول أن نتفحص أثـــره في مســـرحية "مسحوق الذكاء" « la poudre d'intelligence » التي وظّف فيهـــا ياسين شخصية جحا.

وجاءت هذه المسرحية باللغة الفرنسية لكنها ظهرت بعنوان آخر مترجم إلى العامية "غبرة الفهامة" لضرورة اقتباسها وعرضها على الجمهور الجزائري والتي عرضت فعلا سنة 1989 بالمسرح الجهوي لسيدي بلعباس.

إن مسرحية "مسحوق الذكاء" تعد إحدى الأعمال الدرامية المكونة لكتاب "دائرة الانتقام"1 الذي يضم أيضا "الجثة المطوقة" و"الأجداد

يزدادون ضراوة" وقصيدة شعرية بعنوان "الشوحة". ويُعد هذا الكتاب رباعية "Une tétralogie " من أربع مسرحيات مثل التي كان يقدمها الشعراء اليونانيين القدامى في احتفالات ديونيزوس.2 وقد كتبت هذه المسرحيات باللغة الفرنسية بحكم أن كاتب ياسين مارس الكتابة باللغة الفرنسية.

ولسنا في مقام مناقشة خيارات الكاتب في الكتابة بأية لغة كان يكتب، فهو لم يخرج من حيز الكتاب والروائيين الجزائريين في تلك الحقبة الذين فضلوا الفرانكفونية بحكم التأثر، وبغية منهم لإسماع صوت الجزائر المستعمرة، وحين لجأ ياسين إلى المسرح وإلى اللغة المحلية هاجراً اللغة الفرنسية فإنما ليقترب أكثر فأكثر من هموم الشعب وقضاياه التحررية.

الخلفية الفكرية والثقافية لتوظيف شخصية جحا عند كاتب ياسين:

لقد استلهمت شخصية جحا "العديد من المسرحيين اللذين وظفوا هذه الشخصية كل حسب أهدافه واختياراته الفنية والأيديولوجية. وبهذا أعطى كاتب ياسين إلى بطله جحا في مسرحية "غبرة الفهامة" ملامح الشخصية التي ترشد إلى الحقيقة وتبدد الظلال وتفضح الأنظمة."3

كما أن الدارس للسيرة الحياتية لكاتب ياسين ومؤلفاته يقف عند حقيقة مفادها أن فكر الرجل كان نتاج لمجموعة من التأثرات التي صنعتها بيئيته والأحداث التي سايرها، فارتباطه الوثيق بقضيته وتوجهه النضالي، ولد لديه خلفية التأصيل وإثبات الذات، ليجعل منها محددات تبعده وتمايزه عن الآخر، ونقصد بالآخر هنا هو الدخيل المستعمر بكل ما حمله من ثقافة وتقليد.

إن التراث عند كاتب ياسين يتعدى مفهومه العام والعادي، فهو محدد صـــانع لذاك الفارق وذاك الاختلاف، فإذا ما ولجنا إلى كتاباته المسرحية، فإننا ندرك أن ارتباطـــه التراثي جعله يستلهم ويوظف شخصية جحا في مسرحية "غبرة الفهامة" .

لقد عمد كاتب ياسين إلى توظيف شخصية جحا لأنه رأى فيها أحسن وســـيلة لممارسة النقد السياسي والاجتماعي، فالنص المسرحي "غبرة الفهامة" ينتمي إلى المســـرح الهجائي. إذ يسخر جحا من الوصوليين والمنافقين والانتهازيين، وينتقد سياسة الســـلطان ويفضح القاضي والتجار.

وفي " مسرحية غبرة الفهامة صنع الكاتب من شخصية جحا، الفكر الناقـــد في المجتمع مواجها السلطة"4 كما أن توجه كاتب ياسين إلى تفعيل شخصية جحا نابع ممـــا تحمله تلك الشخصية من دلالات ورموز في المخيال الشعبي العربي. فهـــي شخصـــية متحررة في تصرفاتها ومواقفها مع مختلف شرائح المجتمع. ومن بين الأسباب التي جعلت المؤلف يوظف شخصية جحا هي أنه يمكن اعتباره بطلا لا ينهزم في نضاله. فمـــا فعلـــه كاتب ياسين في مسرحية "غبرة الفهامة" هو نوع من التمرد على الرقابـــة الاســـتعمارية وعلى كل الظواهر الاجتماعية السلبية، باستعمال النقد الساخر والكلمات الفظة لخدش ضمير المتلقي وهزه بعنف وإخراجه من الركود الفكري والجمـــود المفـــروض عليـــه. فتوظيف الهزل في هذه المسرحية ليس فقط من أجل الضحك أو الترويح عن الـــنفس للهروب من المشاكل والقيود الاجتماعية وإنما للتنديد وإحياء اليقظة والتفكير في التغـــيير وكيفية الثورة على ما هو ملزم وإجباري وواجب الطاعة.

من خلال نص المسرحية يظهر لنا جليا تأثر كاتب ياسين بـــالموروث الثقـــافي الشعبي العربي، "كما تأثر بالمآثر التي خلفها العرب من قصص ألـــف ليلـــة وليلـــة، وحكايات "جحا" المستلهمة من وحي الذاكرة الشعبية [...] كما أفاده هذا التأثير في نسج عقد مسرحياته وبنائها على أسس متينة."5

والملاحظ هو أن كل مشهد من المسرحية هو نادرة أو نكتة تحمل في طياتها مواضيع وأفكارا، تنقد الوضع الاجتماعي ونوادر جحا في هذا الجانب " أكثر بأضعاف من نوادره في جانب النقد السياسي أو الفضاء المتصل به، لهذا عمد الكاتب إلى جمع حكايات جحا الشعبية ومسرحتها"6. فالنادرة التي لها علاقة بشخصية جحا هي النادرة الجحوية ويعرفها كمال يونس بأنها " تعبير درامي عن موقف جحا من الحياة، وفيها الغمز واللمز، وللنادرة الجحوية عدة سمات فهي سهلة الألفاظ اللغوية، قريبة الدلالة، شائعة التداول، ممعنة في القصر، وكلما كانت النادرة أقصر كانت أقرب إلى النكتة، وكلما كانت أقرب إلى النكتة كانت أكثر إثارة للضحك. تصاغ نثرا، تدور حول الحياة اليومية، [...] نمطية الأبطال والشخوص، وصورة الشخصية تعتمد أساسا على المفارقة وتعرض للمتناقضات من المواقف مثل الذكاء والغباء، والطيبة والغفلة، والجنون والعقل، تجمع بين القول اللاذع وجوامع الكلام."7

إن مسرحية "غبرة الفهامة" لم تخرج عن هذا النطاق وهذا التعريف حيث وجدنا في كل مشهد نادرة جحوية فيها النكتة التي تثير الضحك، تجمع بين القول اللاذع وجوامع الكلام، المواضيع تدور حول الحياة اليومية، وتتسم كذلك بقصر الحوارات واللغز واللمز.

"رئيس الجوقة: أبرد

الجوقة: أملى مات

المفتي: إن لله وإن إليه راجعون

رئيس الجوقة: راه كاين شحال من طريق توصل للجبانة

رئيس الجوقة: الطريق القريبة هي الصعيبة

الجوقة: رانا قلنالكم ماكانش ما أصعب من طريق العرب، فيها فير الدورات

القاضي: ناخدوا طريق الفرنسيس وفرات

جحا: ماتداوسوش، لو كنت حي كنا ناخدوا الطريق اللي جات أمشات.

الجوقة تترك جحا وتهرب."8

من خلال هذه الحوارات القصيرة، يتضح لنا أن كاتب ياسين طرح العديد من الأفكار والقضايا الهامة والخاصة بمصير الشعب، وقضية الكفاح ضد المستعمر، وكيف يفضل القاضي طريق المستعمر "الفرانسيس" على طريق "العرب"، ففكرة العمالة واضحة هنا. كذلك عندما هممت الجوقة ورئيسها بحمل جحا إلى المقبرة ضانين أنه ميت، وإذا بهم يهربون مذعورين عندما وجدوه بينهم، حي يـــرزق يتجـــاذب أطراف الحديث.

نستشف من هذا المقطع كيف رسم كاتب ياسين صورة الشعب وهو خائف أمام الموت، بمعنى أن الشعب لازال لم يزعم إلى خوض معركة الكفاح ضد المستعمر.

إن اختلاف الجوقة –الشعب– في الطريق الذي يؤدي إلى المقبرة، هو تعبير واضح للكاتب على عدم اتفاق العرب حول قضية استعمار الجزائر وكل الأقطـــار المستعمر العربية منها وغير العربية.

كذلك نجد النكتة وهي سمة من سمات النادرة الجحوية:

"عتيقة: شوف هاذ التمرة فيها دودة.

جحا: شفتي واش قلتلك، كون سمعتني وطفيتي الضوء كنتي تاكليهـــا كما خوتها لخرين، تمرة معسلة بدودة فالظلمة"9.

إن استعمال النادرة الجحوية و شخصية جحا العربية في مسرحية "غبرة الفهامة" لدليل واضح على أن مصادر المسرحية هي الحكاية الشعبية الموجودة داخل النادرة والنكتة، ومصدر شخصية جحا هو المصدر العربي الذي أكد علية الدكتور رجب النجار في كتاب "جحا العربي" على الوجود الحقيقي لشخصية جحا في البيئة العربية.

" [...] أن جحا العربي شخصية حقيقية ذات واقع تاريخي، وإن نسبه ينتهي به إلى قبيلة فزازة العربية... إذ ولد في العقد السادس من القرن الأول الهجري وقضى الشطر الأكبر من حياته في الكوفة"10.

ونخلص إلى القول بأن كاتب ياسين بدا متأثرا ومرتبطا بالثقافة الشعبية وبالشخصيات التراثية –شخصية جحا– التي أعطته الإمكانية والوسيلة لطرح رؤاه وأفكاره في قالب هجائي ساخر.

مسْرَحَ كاتب ياسين نوادر جحا المعروفة وركّب بها مسرحيته "غبرة الفهامة"، فهذه النوادر موجودة في العديد من الكتب منها كتاب "نوادر جحا الكبرى" للدكتور درويش جويدي11، وكتاب "اضحك مع طرائف جحا" إعداد أوديت النصير12 و كتاب "جحا الضاحك المضحك" لعباس محمود العقاد13 وكتاب "جحا المزاح المسروق" باللغة الفرنسية لأحمد خياط14 وكتاب "جحا العربي" لأحمد رجب النجار15..الخ

التجسيد المستجد للنادرة الجحوية في المسرحية:

انطلاقا من توجه كاتب ياسين الثقافي وانتماءاته الفكرية والإيديولوجية، فإنه بحث عن أسلوب جديد في الكتابة المسرحية يخول له الجمع والمزج بين القالب التراثي، والنمط الكلاسيكي للكتابة المسرحية بشتى أشكاله، ليتفرد بأنموذج جديد قد نقاربه بتنقية المحاكاة 16 Mimesis وغرضه في ذلك الحفاظ على الشكل التراثي للنادرة من مرجعتها الشعبية، بالرغم من أن الممارسة على الركح قد فرضت عليه في كثير من

الوقفات إن يخرج عن هذه المرجعية بين التارة والأخرى، لا من أجل أن يحدث نتوءا بل من أجل قولبة نص النادرة وفق منظور أسس الفن المسرحي. وقد تجلت مظـــاهر هـــذه المحاكاة في جل مشاهد مسرحية "غبرة الفهامة".

توظيف شخصية جحا :

لقد اقتبس كاتب ياسين حكايات جحا "بوعي وببراعة كبيرة و التي أتته وبلا شك من التقاليد الشفوية، (الكل يعرف بالمغرب العربي قصص جحا) ومن المـــدونات التي يمكن أن يكون قد اطلع عليها بالصدفة"17

كما تأثر كاتب ياسين بالواقع المعيشي للشـــعب الجزائـــري إبـــان الاستعمار وبعد الاستقلال. فيقول : "إن وطني وشعبي بالنسبة لي هما العالم الخاص الذي أنهل منه"18 .

أما فيما يخص مصدر شخصية جحا، يقول كاتب ياسين في البرنامج الموزع قبل العروض في (le théâtre de l'Epée de bois) سنة 1967–1968:

"إن سحابة دخان هي شخصية جحا لا غير، جحا صاحب القصص الشعبية المغاربية. نفس الشخصية نجدها تحت اسم قوحا في مصر ، ونصـــر الدين خوجا في تركيا وهي معروفة على مر القرون، ليس فقط مـــن قبـــل المثقفين، وإنما أيضا وخاصة من قبل الحشد الهائل من النـــاس العـــاديين ، معظمهم من الأميين، هذا لم يمنع أن تتجول قصص جحا مـــن الأفـــواه إلى الأذان من المغرب إلى الخليج الفارسي وحتى إلى ما بعد حدود العالم الثالث. وهو البطل الأسطوري الذي وجد حقيقتا ولا يزال يجسد غريزة المتمـــرد، والنقد اللاذع للمجتمع التجاري القديم، الحافظ لرأس المال، وهـــذا عـــبر

ثلاثية مكونة من السلاطين، والمفتيين، ومن التجار الأغنياء الذين يحظرون فيما بعد أرضية الاستعمار ويضعونه في مراكز القيادة.

منذ آخر قرون الهجرية، ولا تزال نفس الشخصية تؤرق شعوب الشرق، ومئات من الرجال تحكي يوميا مغامرات جحا وتضيف إليهم روايات جديـــدة. إن شخصية جحا هي تحفة من تصميم جماعي خالص في الزمان والمكان." 19

وظف كاتب ياسين شخصية جحا التوظيف الطردي وهذا حسب ما جاء في تقنيات توظيف الشخصية التراثية في كتاب توظيف التراث في المســـرح لعلـــي المخلف. "فالتوظيف الطردي يعني ذلك أن تكون السمات المميزة للشخصية الموظفة تنسجم مع ما كانت عليه من صفات. ويكون هذا النوع من التوظيف حين يعمـــد الكاتب إلى صفة من الصفات التي وجدت حقيقة في شخصيته ويستخدمها لبـــث رؤاه وأفكاره المعاصرة".20 وهذا يستلزم على الكاتب أن لا يغير أي صـــفة مـــن الصفات التي عرفت بها الشخصية الجديدة أو الموظفة. ففي مسرحية "غبرة الفهامة" نرى سمات شخصية جحا لا تختلف عن سمات وطباع شخصية جحـــا العـــربي – المصدر– صاحب النوادر، فهو المواطن الذي يقف إلى جانب المستضعفين ضد الحكم الاستبدادي والظالم، ضد السلطة التعسفية، " يقف إلى جانب الناس ضد السلطان، فيكشف لهم عن مظالمه، وعن حماقة عقله، وسفاهة رأيه، وجور أحكامه في قالـــب السخر والتندر"21، فهو ضمير الأمة العربية وصاحب الحكمة.

" جحا: [...]ومعاها وصية تتعين رسميا أكبر مفكـــر ولا ربمـــا أعظم فيلسوف أظهر فالقرن العشرين"22. إذا هو الشاعر الثـــائر، الفيلسوف المتأثر بالفكر الماركسي والمثقف.

يدخل جحا في صراع مع الأقطاب الثلاثـــة، الســـلطان والمفـــتي والعلماء– كما هو معروف في نوادره– الذين يعرقلون نضال الشعب ضد الاحتلال الأجنبي، فيعتمد كاتب ياسين على الصفة الأساسية من صـــفات

جحا وهي النقد اللاذع والساخر اتجاه السلطة والحكام وطغيانهم باستعمال الحيلة والتظاهر بالحمق وبالغباء.

"جحا: غاية... هي بالذات، درك فالحين نتحقق من تجريبتي، ها هو السلطان جاي أسواسوا. رايح أنعت للشعب كفاش السلطان أنتاعنا يتصرف في مسايل الاقتصاد السياسي. يا سيد السلطان [...] علا بالي واش خاصك، راك محروم من ثلث حوايج يديروا سعادة الإنسان، أصغير ولا كبير، مهما كان هما، الفهامة، الذهب والحب. في مايخص الفهامة والحب نشوفوا فيما بعد [...] المهم هو كيفاش أنحصلوا على منجم ذهب اللي يسمح لينا نشروا كل شيئ. (ويشير جحا إلى الحمار)"23 على أساس أن الحمار هو الذي سيغدق ذهبا.

إن شخصية جحا التراثية في المسرحية تمثل "[...] الكاتب، والفيلسوف الشاعر وأخيرا المثقف في بلد متخلف والذي وجب عليه أن يتحايل مع السلطة التي يقذفها و لأن الشعب لازال غير قادر أن يسير معه"24.

يظهر تارة فيلسوفا:

" السلطان: عمري ما صيدت كيما اليوم وجهك ما هوش وجه الشر.

جحا: منعرف شكون جاب الشر لخوه لكن الشر في بعض الأحيان يتحول للخير وهاذ الخير بالذات اللي يلزم نحرز راسي منو بحيث يقدر يكون مصدر شر لاحقا(الخ) كاين شي بعض من الحكماء بناو

مناهج فلسفية على هاذي العقلية. فالمثال يعني على سبيل المثـــل، كـــون كاش ولد حرام يزرملي الحصة، نظريتي تكون يا للأسف صـــادقى أميـــا فاليا"25.

وتارة أخرى شاعرا:

" جحا: بالمهل يا مريّ لعزيزة بالمهل
يا مرى من تعود الخبز الصفر
وشراب الذكر وركوب الشجر
ما ينوض من المايدة حتى لبكر"26

وأخيرا المثقف:

"جحا: غاية...هيا بالذات، درك فالحين نتحقق من تجريبتي، هـــاهو السلطان جاي أسواسوا. رايح أنّعّت للشعب كفاش السلطان نتاعنا يتصرف في مسايل الإقتصاد السياسي."27.

لقد وظف كاتب ياسين شخصية جحا في المسرحية على أساس أنهـــا شخصية تقدمية رافضة للحكم السائد، ناقمة عن الشعب وسلوكه.

لهذا السبب ظهرت في البداية خطت جحا غير منسجمة، فهو تارة ينقد المحكوم وتارة أخرى ينقد الحكام– السلطان، القاضـــي، العلمـــاء، التاجر– وفي نهاية المطاف يظهر مغمورا بالشرف من قبل السلطان، سجينا لتبرعاته، فلم يبق له سوى هدم الحكم من داخله.

"لقد حفظ له كاتب ياسين سمات النكات المجـــاني: عنـــدما يجامـــل زوجته، وعندما يحلم وهو ينشر الفرع الذي كان معلق عليه تاركا نفســـه

للجوقة تأخذه إلى المقبرة [...] أين يكون القمع قوي جدا فالتخيل والحلم هما شكل من أشكال الحرية، وانه علاوة على ذلك، ربما لا توجد أساليب أخـــرى إلا التعرج والظهور بالحمق."28 فعندما يريد جحا أن يحرض ويستفز الجوقة –الشعب– حتى تبلغ درجة من الوعي يستعمل ذكاءه و يتظاهر بالحمق :

" جحا: والو...والو. راني حاب نعيش في عالم يكون فيه الناس ولحمير عايشين كل واحد في جهة وتكون للكل جرتومة حكومة وفي كل حومة حمام مجاني"29، فهذا ليس بازدراء لأن جحا يدرك فعلا بأن الشعب مختل ومجنون.

يظهر جحا في موقف أخر محصور بين الشعب الذي لم يفهمه والسلطة التي تعتبره محرض. تارة يبدو سلبيا في نظر الشعب عندما تنسب إليه بعض الســـلوكات السلبية وتارة أخرى إيجابيا عندما ينتقد عيوب غيره. "جحا كان تعبيرا عـــن عـــدم الرضا، تعبيراً رغم التوائه صريحاً، ورغم ظاهرة الفكه واخزاً، لقد برعت شـــعوبنا كسواها في هذا الضرب من الاحتجاج، الذي يمكن بسطه على النحو التالي: التعبير الشعبي هو الفكه، هو وعي اجتماعي ناضج، باعتباره كشفاً للوضع الاجتمـــاعي، وتعبيراً فنياً عنه، أي تعبيراً آمناً يتجاوز الانفجارات المباشرة أو ردود الأفعال السريعة لكنه من جهة أخر وعي سلبي لأنه ينمي حالة رواقية تبخر فائض السخط، وتساعد على إيجاد تلاؤم مفقود وصعب. [...]كيف استطاع أن يصنع بدءاً من (جحـــا) حركة تاريخية متنامية، لا ينقص فيها الوعي ليحقق تلاؤمـــا مـــع الحاضـــر، [...] الشخصية هنا تصنع التاريخ، كما أنها تصحح الواقع"30، فظهرت شخصية جحا في صورة مستجدة في مسرحية "غبرة الفهامة"، إنه الفيلسوف والشاعر و المتمـــرد والمثقف، هو ضمير الشعب وله ميزات الميال إلى الفوضى:

" جحا: حتى أنا تاني سراق أقديم جابد روحي،"31

و"الجنرال: ألقيتو يشوش فالناس وداير أملمّا فالساحة العامة"32.

إن شخصية جحا متأرجحة بين المتخلف عقليا والمهرج الضـــار والمنـــتقم للضعفاء والمظلومين، والذي ينتقد المجتمع، ويندد بالسلطة الاستبدادية، وتواطؤ الدين و سلطان المال. فيتحول إلى "فيلسوف تقدمي"33 يتكلم بلغة ماركسية، فهو يعلم "قانون المضاد الداخلي لراس المال"34، بمعنى قانون التناقض الداخلي لرأس المـــال وهذا مبدأ من مبادئ الفلسفة الماركسية. " مبادئ ستالين الذي أعرب ياسين عن امتنانه الكبير له ووصفه بالرجل الفولاذي"35، وهذه إشارة إلى تأثر كاتب ياسين بالفلسفة الماركسية.

ظهرت عبقرية كاتب ياسين في تركيب وتوظيف النوادر التي كتبت كل منها على حدى وفي فترات زمنية مختلفة ذات المواضيع المستقلة، لكـــن المؤلف استطاع ببراعة أن ينسج منها مسرحية ذات الموضوع الجاد في قالب ساخر هجائي بطلها جحا الذي يصور بطش الحكام وظلمهم، لصبح الناطق بلسان المؤلف والذي وجد فيها أنجع السبل للإدلاء بنظرته للعالم وموقفـــه وأفكاره مستعملا لغة شعبية يفهمها أغلبية الشعب.

أدرك كاتب ياسين منذ البداية أن عامل اللغة ومتناقضاتها قد يشكل عنصرا فارقا ومحددا لماهية مسرحه، فاللغة التي ترجمـــت إليهـــا مســـرحية "مسحوق الذكاء" هي اللغة العامية، كما صرح كاتب ياسين "المسرح هـــو الحياة، فيلزمه لغة حية"36 وهي التي أتاحت للكاتب متنفسا أخرا للتعـــبير بكل حرية عما يريد قوله من خلال طرح أفكاره و رُؤاه. وكما تحدث عمر شعلال عن اختيار كاتب ياسين أن تكون للغة العامية هي لغـــة إبداعاتـــه المسرحية. " [...] إما التخلي عن الكتابة باللغة الفرنسية، وبذلك التضحية

بموهبة الكاتب التي كانت له، وإما الاقتراب من ذويه وبني جنسه. وبـــدون أي تـــردد اختار أن يكون قريبا من شعبه"37.

كذلك تضفي اللغة العامية على المسرحية الطابع الشعبي الذي يصب فيه العمل ككل. فهي لغة تعبيرية تحتوي في طياتها على مقومات الهزل.

إن اللغة الشعبية العامية تلعب بمختلف سجلات الكـــلام، وتبتكـــر تعـــابير وكلمات، وتخلق أمثالا ونكتا وقصصا في متناول جماع الشعب تقريبـــا، هـــذه اللغـــة الشعبية– التي تُنْعَت تحقيرا بالمبتذلة– كيف يمكن أن تُكْتَبَ رواية أو مســـرحية تزهـــو بوصف المجال الحضري لأي بلد بلغة لا يتكلَّمها أحد؟ لذا "يجـــب الاقتـــراب قـــدر الإمكان من اللغة العامية التي تتطلبها حياة بعض الشخصيات العادية... إنها تجربة النزول باللغة العربية الفصحى، كما يقول إلى أدنى لتلاصق العامية دون أن تكون هي العاميـــة، والارتفاع مستوى العامية دون أن تكون هي الفصحى، إنها اللغة الثالثة التي يمكـــن أن يتلاقى عندها الشعب كله".38

يتيسر علينا أن ندرك أن شخصية كاتب ياسين الرافضة للسياســـات اللبراليـــة الشرسة، والناقمة على مظاهر اللامساواة، ورغم تشعبه الفكري وموسوعيته الثقافية إلا أنه لم يستطع أن يتخلص من فكره الإيديولوجي في كل أعماله الأدبية والفنية، وهو مـــا يجعلنا أكثر اقتناعا بأن شخصية جحا التي دغدغت مخيلة كاتب ياســـين، هـــي تلـــك الشخصية المشكلة من الميزاجات الناقمة على السلطان والنظام، والتي تعبر عن سلوكها هذا بالسخرية والمزاح، والتي ارتآها ياسين أنسب طريقة للخطاب والمجابهة.

فقد اعتمد ياسين طريقة الوسيط والمحاكاة في التبليغ وتجنب التوظيف المباشر للشخصية، حتى لا يتداخل المخزون التراثي لدى المتلقي بالإسقاطات التي يقدمها هو فوق الركح.

الهوامش:

1. Kateb **Yacine. Le Cercle des Représailles. Paris, Le Seuil, 1959.**
2. معجم عبد النور المفصل. فرنسي–عربي .دار العلم للملايين.1998.ص 1031
3. *voir : Ahmed Cheniki. Le Théâtre En Algérie, Histoires et Enjeux. Edisud.Aix–en–provence. 2002.p 22*
4. إدريس قرقوة، تجربة كاتب ياسين المسرحية، مجلة ثقافية شهرية، ع 105 عمان 2002، ص 61.
5. حقيقي فضيلة، الالتزام في مسرح كاتب ياسين، مسرحية "فلسطين المغدورة" دراسة تطبيقية. بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في مشروع: المسرح الجزائري تحت إشراف: أ.د بشير بويجرة محمد و د.فرقاني جازية. 2005/2004، ص 23.
6. ينظر: إدريس قرقوة، تجربة كاتب ياسين المسرحية. ص 61.
7. كمال يونس، جريدة العرب العالمية، 13ماي 2007.
8. مسرحية "غبرة الفهامة"، ص 196/195.
9. مسرحية "غبرة الفهامة"، ص 191.
10. محمد رجب النجار. "جحا العربي". عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر 1978.ص15.
11. درويش جويدي، نوادر جحا الكبرى، الدار النموذجية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، لبنان 2007.
12. أوديت النصير، اضحك مع طرائف جحا، دار الكوثر، دمشق، سوريا 2005.
13. عباس محمود العقاد، جحا الضاحك المضحك، سلسلة دار الهلال، العدد 65، 2001.
14. أحمد خياط، جحا المزاح المسروق، (د ط) (د ت).
15. محمد رجب النجار، جحا العربي، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر 1978.
16. المحاكاة هي مفهوم عام أطلقه المفكرون اليونان وناقشوه وحاكموه على أساس أنه يشكل جوهر العمل الفني والأدبي بالواقع. كذلك هي بمعنى قلد أو اتبع نموذجا. [...] تعني مضاهاة الشيء ومماثلته، أي الاشتراك معه في الجوهر. [...] عمل إنتاجي وإبداعي له قيمة تخيلية. (ينظر: ماري إلياس، حنان قصاب حسين، المعجم المسرحي،(مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض) عربي–انجليزي–فرنسي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1997. ص 412.
17. *Jacqueline Arnaud. La littérature magrébine de langue française. Tome 2: le cas de Kateb Yacine. Publisud.1986.p.181*

18. *Juquet Jeaque (la révolte) Alger et le parti communiste/Edit le contenais/t3/1977/p : 206.*

19. *Jacqueline Arnaud. La littérature magrébine de Langue française. p 180*

20. حسن علي المخلف، توظيف التراث في المسرح، دراسة تطبيقية في مسرح سعد الله ونوس، ط1، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2000، ص 95.

21. محمد رجب النجار، جحا العربي. ص 93.

22. مسرحية "غبرة الفهامة"، ص 194.

23. مسرحية "غبرة الفهامة"، ص 197 .

24. *Jacqueline Arnaud. La littérature magrébine de Langue française. p 358*

25. مسرحية "غبرة الفهامة"، ص 192.

26. مسرحية "غبرة الفهامة "، ص 201.

27. مسرحية "غبرة الفهامة"، ص 197.

28. **Jacqueline Arnaud. La littérature magrébine de Langue française. p 361**

29. مسرحية "غبرة الفهامة"، ص 197.

30. سعد الله ونوس، الأعمال الكاملة، المجلد الثالث، الطبعة الأولى، سوريا 1966، ص 168.

31. مسرحية "غبرة الفهامة"، ص 194.

32. مسرحية "غبرة الفهامة"، ص 200.

33. مسرحية "غبرة الفهامة"، ص 210.

34. سعد الله ونوس، الأعمال الكاملة. ص 08.

35. *Ben Amar Mediene (pour Kateb Yacine) entreprise nationale du livre Algérien 1990/p:59*

36. *Entretien avec Kateb Yacine, écrivain algérien, sur son expérience théâtrale, Révolution Africaine, mai 1985*

37. عمر شعلال، كاتب ياسين. الرجل الحر، دار القصبة للنشر، الجزائر 2007، ص 101.

38. توفيق الحكيم، مسرحية الصفقة، مكتبة الآداب، مصر، 1958، ص 158.